مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية
Eissn : ...-.... Issn : 2353-043X
المجلد 04/ العـدد 01: (2017)، ص 240- 252

مقاصد الخطاب العقدية من خلال كتاب"العقائد الإسلامية" للإمام ابن باديس

الاستاذة: سعاد روابح
جامعة الجزائر1

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى استخلاص المضامين المقاصدية العقدية، وتحديد حِكم وأسرار آيات العقيدة من خلال كتاب "العقائد الإسلامية" للإمام ابن باديس، التي اصطبغ بها منهجه الإصلاحي، والذي يؤسس لقاعدة إيمانية منطلقها القرآن والسنة، وغايتها إعادة الصفاء والنقاء لعقائد الناس كما جاء بها القرآن الكريم، نأيًا عن الفهوم البشرية التي شابتها بشائبات التعقيدات الفلسفية والكلامية والتي سمحت بإحلال أشكال من التأويلات المتناقضة، لتبتعد بذلك عن روح القرآن السلسة التي راعت الفطرة الإنسانية بعيدا عن التقنينات البشرية التي أتعبت الفهم.

وتهدف إلى بيان قيمة جهود ابن باديس وخاصة في مؤلّفه -محل الدراسة-في الوصول بالناس إلى التوحيد الصحيح الذي يحقق التعبد الأمثل لله Y على وفق ما جاء به القرآن الكريم في طريقته المثلى في الاستدلال على وجود الله وصفاته وبيان كمالاته .

Résumé

Ce document de recherche vise à extraire les contenus qui contient les objectifs et les buts religieux, et définir les règles et les secrets des versets de la foi à travers le livre « croyances islamiques » de l'imam Ibn Badis, qui a façonné sa réforme approche, et établit une règle de principe de foi Coran et la Sunna, pour rétablir la sérénité et la pureté des croyances du peuple comme indiqué par le Coran ; loins d'ententes humaine qui a été marquée par des controverses et des complexités philosophiques qui ont permis à des formes de substitution des interprétations contradictoires, de manière à s'éloigner de l'esprit de la série Coran qui a pris en compte l'instinct humain loin des lois humaine qui rendent la compréhension difficille.

الاستاذة: سعاد روابح

Le but de cette étude c’est désigner et montrer la valeur des efforts d'Ibn Badis pour mener les gens au bon unitarisme et à l'accès à l'uniformité droite qui permet d'atteindre le culte optimal Dieu selon sur ce qu'il dit dans le Coran meilleure façon de déduire l'existence de Dieu et de ses attributs et la déclaration de ses perfections.

مقدمة:

شكلت جهود ابن باديس في مجال الإصلاح العقدي لأجل تعزيز الإيمان بحقائق الاعتقاد وثوابت الدين، وتحقيقا لما يخدم معاقد الإيمان الستة؛ مساغٍ لتأسيس الدين على مقاصدية عقدية تنشد التشبع بأصوله، فكان اجتهاده التفسيري في حقيقته إبرازٌ لمقاصد الدين وبيانٌ لأسراره المتغيَّاة، فلا يخفى على أي باحث، إضافة إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية المتدنية التي شهدتها فترة من حياة الشيخ ابن باديس في نضاله الفكري؛ الأوضاع الدينية المضطربة وما عاشته الجزائر من تدمير لمعالم الثقافة والفكر الإسلاميين من قِبل الاستعمار الفرنسي، الذي سعى وبشتى الطرق والأساليب والوسائل للنيل من مقوّمات الهوية الجزائرية؛ سواء ما كان منها خاصا بالشعائر الدينية أو ما يختص بالانتماء الوطني. لذلك جاء كتاب العقائد لعالمنا الجليل ابن باديس-رحمه الله- ليمنح لقارئه الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية بعيدا عن انحرافات الصوفية وتشويهات المستشرقين وغيرهم.

وعلى الرغم من أن له جهوداً واضحة في تفسير القرآن الكريم، أفاد منها الباحثون من بعده، وأخذوا من تحليلاته وأقواله القَدْر الكثير، فإننا لا نستطيع أن نصنف تفسيره ضمن التفسير المقاصدي المباشر؛ وذلك لأنه لم يُؤَلِّفْه لهذا القصد، رغم انضوائه على معانٍ مقاصدية كثيرة يمكن للباحثين الوقوف عليها بإمعان النظر في أهدافه المتوخاة. والشأن نفسه مع الآيات العقدية التي شرحها ضمن كتابه –محل الدراسة- الذي ألَّفه لبناء قواعد العقائد الإسلامية.

واليوم، تنهض الدراسات المقاصدية لخدمة تفسير القرآن الكريم وبيان أبعاده الوظيفية؛ خاصة منها الإيمانية التي تعنى بالبناء العقدي، وليس لهذه الدراسات من قاعدة متينة تستند عليها غير جهود علمائنا؛ خاصة علماء الجزائر الذين راعوا الواقع الجزائري في خدمتهم لتفسير القرآن الكريم بما يجبر حاله ويداويه، وابن باديس في طليعتهم، وعلى رأس القائمة فيمن قصدوا العناية بتفعيل القرآن في حياة الناس وجعله الحَكَم على سلوكاتهم واعتقاداتهم.

إشكالية الدراسة:

درج علماء السلف على الرجوع إلى القرآن الكريم في كل شأن من شؤون الدين وكان ديدنهم تحكيم سلطانه على النفوس، فحذا علماء جمعية العلماء المسلمين حذوهم لأجل صناعة المسلم الموحّد لربه بدلائل القرآن، بعيدا عن جدل الفرق وتناحرهم، فأولى الشيخ ابن باديس اهتماما كبيرا ببيان المفاهيم الصحيحة للعقيدة السليمة في كتابه "العقائد الإسلامية"، واعتنى عناية خاصة بتفسير الآيات العقدية التي اتجه فيها إلى بيان أسرار أصول العقائد لتُقبل عليها النفوس وتتقبَّلها.

انطلاقا مما ذكر، سنحاول استقراء ما ورد في الكتاب من آيات للإجابة على الإشكال الآتي: ما هي المقاصد العقدية التي يمكن استنباطها والوقوف عليها من خلال جهد ابن باديس التفسيري؟ وكيف أرسى قواعد الدين وأصوله من خلالها؟

أهمية الدراسة:

تعتبر المقاصد من العلوم التي اهتم بها علماؤنا استنباطا من القرآن والسنة، إذ هي مبنية على أحكام وتشريعات إلهية مثبتة ومبيَّنة بنص شرعي واضح وجليٍّ في مواضع، وهي في مواضع أخرى في حاجة إلى الإبراز من خلال مدلولات الألفاظ. وتأتي الأحكام العقدية كغيرها من أنواع الأحكام القرآنية التي شرعها المولى Y لرعاية مصالح العباد، ليكون القصد منها الابتعاد بالناس عن الانحراف والضلال، وبذلك تُعدّ عمدة الإيمان الصحيح وأساسه.

من هنا، تكتسب هذه الدراسة أهميتها، خاصة في الراهن؛ حيث اتجهت الكتابات إلى الوقوف على المقاصد العقدية من جهة، والمقاصد التفسيرية من جهة ثانية والتي تعنى بالتفسير المقاصدي لكامل القرآن الذي تبرز فيه روح النص وغائيته، والتي تحيله إلى التفعيل والتنزيل الصحيحين، وذاك ما لم يغب عن ابن باديس، وإن لم يقصد ذلك أصالة فقد مارسه باعتبار حسّه التفسيري الدقيق الذي يتنبّه إلى دقائق التفسير بالتنقيب في المعاني الخفية للقرآن الكريم، حيث جعل القرآن مجسّدا ومطبقا على أرض واقعه الذي كان يغصُّ بالمشكلات والتناقضات؛ ليكون القرآن حيًّا بين الناس يضيء ظلمات جهالاتهم.

أهداف الدراسة:

نجد، عادة، أن اهتمام علماء التفسير ينصب على بيان مرادات الله Y بالوقوف على شرح الآيات وتفصيل القول فيها، وتوضيح المعاني الخادمة للنص وذلك لاستجلاب

ثمراتها، ومن ثمّ فالعودة إلى ما كتبه هؤلاء الأعلام بالمدارسة والاعتناء هو غاية ما يوصلنا إلى فهم القرآن لأجل تجسيد معانيه واقعا.

وقد استشهد ابن باديس بشواهد كثيرة من آيات القرآن الكريم العقدية، وسعى في بناء ضوابط الإيمان الصحيح مستنداً إليها، وعَلَّل مراميها في صناعة المسلم المستسلم. واستقى أصول الإيمان الصحيح الراسخ من فهمه المعمّق للقرآن الكريم، فكان كتابه جهدا متميزا حقيقا بالاستفادة منه في التنزيل المقاصدي العقدي اليوم.

تحديد المفاهيم :

المقاصد لغة: جمع مقصد، والمقصد مصدر ميمي مشتق من الفعل قصد، فيقال: قَصدَ يقْصِد قصدًا ومقصِدًا .وقصَده وقصَد له وقصَد إليه كله بمعنى واحد وقصدَ قصْدَه أي نحا نحوه، والقاصد القريب، والقصْد العدل؛ القصد بين الإسراف والتقتير[1].

ومن بين المعاني التي تدل عليها مادة(قصد): إتيان الشيء وأمُّه، والامتلاء أو الاكتناز في الشيء كامتلاء القصيدة الشعرية واكتنازها بما يدل على أن أبياتها تامة الأبنية[2]. ومنها أيضا: الاعتماد والتوجه واستقامة الطريق، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ النحل: ٩ .

مقاصد الخطاب اصطلاحا: نعني بذلك مقصود النص، أو مقصود الآية، أو مقصود الحديث، ويستعمل المصطلح حين يتوارد على النص معنيان أحدهما غير مقصود والآخر مقصود، وقد يكون المعنى الأول الظاهر، وهو المتبادر إلى الفهم، وبمزيد من التدبر والتأمل، وبالاحتكام إلى القرائن التفسيرية المساعدة، يتضح أن للنص مقصودا هو غير ما يتبادر إلى الذهن من ظاهر الألفاظ، فيقال حينئذ: المقصود كذا، أو مقصود النص كذا...[3]

---

[1] محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، ط1، مصر: المطبعة الكلية ، 1329هـ، ص123.

[2] ابن فارس(**ت395**هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دط، دار الفكر، طبع بإذن خاص من رئيس المجلس العلمي العربي الإسلامي محمد الداية، دت، ج5، ص 95، الفيروز آبادي(**ت817**هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة ، 1426هـ 2005م، ص310.

[3] أحمد الريسوني، مدخل إلى مقاصد الشريعة، ط1، المنصورة: دار الكلمة للنشر والتوزيع، **1424هـ2013**م، ص11.

مقاصد الأصول: هي المقاصد التي جاءت الأحكام لتحقيقها باعتبار ذاتها، لأنها تمثل المصلحة المطلوبة[4].

مقاصد الوسائل: هي تلك المقاصد التي هي مصالح ولكنها ليست مصالح في ذاتها، إذ لا يحصل بها النفع في ذاتها، وإنما هي مصالح تتحقق بها مصالح أصلية وتتوقف عليها[5].

منهج المعالجة:

يرتكز منهج الكشف عن المقاصد العقدية عند ابن باديس -من خلال تفسيره لكثير من آيات العقيدة- على استقراء كتاب العقائد الإسلامية، واستخلاص المقاصد واستنباطها من خلال ما وظّفه من معان خادمة للنص وشارحة للآيات، حيث لم يتطرق الشيخ ابن باديس إلى المقاصد أصالة، ولم يصنف في الأمر ابتداء وبشكل صريح، رغم استخدامه ما يرادف المصطلح حيث دلَّ عليه بالحكمة في بعض المواضع، وإنما نلمح ذلك من خلال اهتمامه بإظهار الأبعاد الوظيفية لمعاقد الإيمان الستة وثمراتها.

أولا: في الكلام على أركان الإسلام وقواعده الخمس.

هذه القاعدة في أركان الإسلام الخمس وهي ما يدخل في باب العبادات عند الفقهاء، ولكن ابن باديس أدرجها في كتابه الذي تحدث فيه عن العقائد الإسلامية؛ لأن مضامينها ومخرجاتها عقدية مرتبطة بالفوز بالجنة أو خسرانها، فدين الإسلام هو الدين الحق الذي لا يُقبل سواه. وهو الدين الذي تعرّف فيه عباداته بالله وتوصل إلى الإسلام الحقيقي الذي يجسد فيه سلوك العبد اعتقاده الصحيح من الخاطئ. يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣

وقد انتبه الشيخ إلى التوارد الحاصل بين الإسلام والإيمان على معاني الاعتقاد والنطق والعمل والتي يكون مقصدها الجامع تحقيق الاستسلام والانقياد لله عز وجل، فتسمى قواعد الإسلام الخمس إيمانا لابتنائها على التصديق الذي محله القلب؛ وهي في الوقت نفسه ثمرة من ثماره، وتسمى إسلاما لأنها انقياد وخضوع.

ويمكن أن نجمل مقاصد الخطاب العقدية التي استنبطناها من خلال ما شرحه ابن باديس في كتابه الذي أوجز فيه العقائد الإسلامية فيما يلي:

---

[4] عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ط2، بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2008م، ص45.

[5] المرجع نفسه.

الاستاذة: سعاد روابح

1. المقاصد الأصول: نركز على المقاصد الإجمالية والكلية لأصول الاعتقاد التي اهتم الشيخ ببيانها وتفسير الآيات التي تشرحها، وتُبين قصد الشارع من تكليف الناس بالاعتقاد بها، ونذكر باختصار المقاصد الوسائل المفضية إلى المقاصد الأصول.

1.1. مقصد تحقيق النجاة: هو المقصد الأسنى الذي نستشفه من الدخول في الإسلام واتّباع هديه، وهو ما يمكن استنباطه من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ آل عمران: ٨٥ وقوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ البقرة: ١٣٢، فلا نجاة من غير دين الإسلام، ولا اعتبار لتديّنٍ يجافيه.

1.2. مقصد تحقيق الدينونة: فالإسلام يقصد ويُراد به الدين الذي أرسل الله به جميع رسله، فلا اعتبار لأي دين غير دين الإسلام، ومن لم يَدِن بالإسلام فلا دين له، مصداقا لقوله Y: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ آل عمران: ١٩

1.3. مقصد تحقيق الخاتمية والعالمية: فما جاء به محمد ρ هو الإسلام الذي لا نجاة لأحد إلا بالدخول فيه، ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ آل عمران: ٢٠

1.4. مقصد تحقيق كمال الإسلام: بالإيمان برسول الله ρ المبعوث بدينه، فلا يكتمل إيمان أحد من الناس ما لم يؤمن بمحمد ρ نبيا ورسولا. يقول تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف: ١٥٨

2. المقاصد الوسائل:

ووسائل تحقيق هذه المقاصد هي الإسلام الصحيح الذي لا يكتمل إلا بقواعد الإسلام الخمس التي يشرحها قوله ρ : "بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت"[6].

فأول واجب على المكلف من مسلم بالغ، أو كافر يريد الدخول في الإسلام وأن يعتقد بأنه الدين الخاتم الذي أرسل به محمد ρ أن يعلم أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

[6] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه(8، 4515)، ومسلم(16).

ليس نطقا وحسب وإنما فهم أصل معناهما مع التصديق التام الجازم بذلك، ثم يأتي ما افترضه الله عليه من الفرائض.

ثانيا: في الكلام على أركان الإيمان.

1. المقاصد الأصول:

ومعنى الإيمان لغة عند الشيخ هو التصديق ومحله القلب، ويراد به شرعا التصديق الجازم بأركان الإيمان ومعاقده الستة.ويأتي أيضا بمعنى الأعمال الظاهرة من الأقوال والأفعال المبنية على التصديق واليقين. يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ التوبة: ٤٥، وقوله أيضا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ البقرة: ٢٨٥

1.1. **عقيدة الإيمان بالله**: إن مما كان الشيخ يرجو بيانه من خلال عقائد الإيمان هو الوصول إلى تحقيق المعرفة بالله Y؛ المعرفة اليقينية التي تحرر الإنسان من أية عبودية غير عبودية الله وحده، وتحرير إرادته عن كل الإرادات المكبلة لانطلاقه ليكون عبدا حرا يلتزم التكليف الإلهي، إلى جانب ذلك فقد قصد تحرير إلهية المولى Y وربوبيته عن أية مشابهة لخلقٍ تعتريهم النقائص ويختلجهم الضعف.

وقد سلك مسلك السلف في إثبات معاني الصفات وتنزيه المولى عن كل شبيه ومثيل بلا كيف ولا تعطيل أو تجسيم، فأقرَّها كما وردت في القرآن الكريم وأحاديث النبي ρ، وسنذكر هذه المقاصد بالشرح الذي يحيل إلى بيانها كما يأتي:

1.1.1. مقصد تحقيق اليقين:

- **بوجود الله:**

عرّف الشيخ بالله بأنه :**"الموجود الحق لذاته، الذي لا يقبل وجوده العدم، فهو القديم الذي لا بداية لوجوده، وهو الباقي الذي لا نهاية لوجوده"**[7]، ثم أتى بعد ذلك على بيان اليقين الذي يستند إلى هذا التعريف؛ فاليقين بالله لا يتحقق إلا بالاعتراف بوجود الله وقِدمه ونفي العدميَّة والحدوث عنه. يقول تعالى: أفي الله شكٌّ فاطر ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إبراهيم: ١٠.

[7] ابن باديس(ت1940)، العقائد الإسلامية، ص55.

– **بسبق وجود الله كل وجود:** ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْأخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ الحديد: ٣: ولا يتحقق أيضا إلا بالاعتراف بأن الله وحده ولا شيء معه ثم خلق ما شاء من مخلوقاته.

– **بغناه تعالى عن كل الموجودات وافتقارها إليه: مصداقا لقوله تعالى:** ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ فاطر: ١٥ - ١٧

فلا ينبغي أن يتطرق الشك في الله وهو منشئ كل شيء وخالقه ومُظهره، فمن شكَّ ولم يحقق إيمانه بالله اليقين المطلوب فلم يعقل شيئا، يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ الرعد: ٢ .

فالإيمان ينتفي عن صاحبه إن غاب عنه اليقين ، بعكس الأعمال التي وإن غابت لا ينتفي، فالإيمان يزيد وينقص بالطاعات.

1.1.2. مقصد التنزيه والإثبات:

لا يتحقق الإيمان بالله Y إلا بتحقيق التنزيه له سبحان وتعالى عن نقصٍ لا يليق بكمال ذاته وصفاته وأفعاله Y، والإثبات؛ فمراده Y في آي كتابه أن يتعبّده خلقه على وفق ما أمر وعلى وفق ما وصف به نفسه من غير زيادة أو نقصان، فيثبتون ما أثبته لنفسه، وينتهون عند ذلك. يقول تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١.

وأيضا بتحقيق الإدراك الكامل بأن العقول قاصرة عن الإحاطة به، عاجزة عن معرفة ذاته وصفاته وأفعاله. يقول تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦ﴾البقرة: ٢٥٥

1.1.3. مقاصد التوحيد: لا تتأتى العبودية الحقيقية إلا بتوحيده Y في ربوبيته بإفراده بالخلق والرزق والعطاء والمنع ودفع الضر وجلب النفع وما إلى ذلك من اعتقادٍ راسخ في صفاته Y. وكذا توحيده في ألوهيته، وإفراده بالعبادة والخضوع. لقوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَٱعْبُدُونِ﴾ الأنبياء: ٢٥

وقد حدد الشيخ مصطلحي مفهوم التوحيد اللذين لا يكون المسلم مسلما إلا بتحقيقهما معا، والمراد بهما اعتقاد الوحدانية لله؛ وهو التوحيد العلمي، وإفراده بالعبادة وهو التوحيد العملي الذي يثبت من خلاله المكلف ما اعتقده في الله من وحدانية، فيجسد اعتقاده عملا وسلوكات تنبئ عن الاعتقاد الصحيح.

إن غاية ما يجب أن يحصّله العبد في إيمانه بربوبية الله أن يعلم بأن لا خالق إلا الله ولا مدبر للكون ولا متصرف فيه سواه. يقول تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الأعراف: ٥٤

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَالأنعام: ١٦٢ - ١٦٣

يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ السجدة: ٥

1.2. عقيدة الإيمان بالقدر: "القدر تعلق علمه وإرادته أزلا بالكائنات كلها قبل وجودها فلا حادث إلا وقد قدره الله، أي سبق به علمه وتقدمت به إرادته".

يقول تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ القمر: ٤٩، وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ الأحزاب: ٣٨

1.2. 1. مقصد تحقيق الرضا والتسليم لله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ الحديد: ٢٢ – ٢٣

2.1.2. المقصد من تقديم الأسباب مع الإيمان بالقدر: وقد عقد له الشيخ عنوانا خاصا سمّاه **"العمل بالشرع والجد في السعي مع الإيمان بالقدر"** وقد قصد من خلاله طرق الأسباب المشروعة ولو كان القدر مغيّب عنا، فالقدر في دائرة الاعتقاد، والشرع في دائرة العمل.

3. 1. عقيدة الإيمان بالملائكة عليهم السلام: أوكل الله هذه المخلوقات النورانية للقيام على شؤون البشر إلى يوم القيامة بما حباهم الله من صفات فهم ميسرون للطاعات، معصومون عن المعاصي

3. 1.1. مقصد التسخير في شؤون الخلق وتدبير الكون: ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًاالذاريات: ٤، فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ النازعات: ٥

3. 1. 2. مقصد حفظ العباد وكتابة أعمالهم: لأجل استحضار المراقبة الإلهية وتربية الورع في نفس الإنسان، فباستشعاره للمعية الإلهية ينمو بداخله الوازع الديني﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ كِرَامًا كَٰتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ الانفطار: ١٠ – ١٢، ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ق: ١٧ - ١٨

3. 1. 3. مقصد حفظ الوحي وتبليغه: ﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا المرسلات: ٥ - ٦

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾الحج: ٧٥

4. 1. عقيدة الإيمان بكتب الله تعالى: فلا يقتصر الإيمان على كتاب واحد وإنما بكتبه تعالى مجتمعة إلى رسله، لتتأتى مقاصد الإيمان بها وهي:

4. 1. 1. مقصد بيان الحق: وهو المقصد الذي تجتمع فيه كل الكتب السماوية التي جاءت عن الله لتعرّف به وبشرائعه إلى خلقه.

4. 1. 2. القرآن هو الهداية العامة للبشر: لما كانت شريعته ρ خاتمة جعلت جامعة لما يحتاج إليه البشر فيما بقي لهم في آخر أطوارهم في وجودهم، وهو طور رقيهم العقلي والعلمي والعمراني، فأغنت كما يقول الشيخ عما قبلها من الشرائع فكانت ناسخة لها، فالشريعة المحمدية قد جمعت فأوعت، فكان القرآن بذلك معجزة عقلية علمية خالدة، يخضع لها كل ذي لب وكل من أوتي مسكة من عقل.

5. 1. عقائد الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام:

بمدخل مهم **عرّج فيه** ابن باديس على بيان مقصد خلق البشر ومصلحتهم في ذلك بقوله:"**إن الرب الحكيم جلّ جلاله خلقنا لعبادته، وفي عبادته كمالنا وسعادتنا، وعبادته بطاعته فيما أمرنا ونهانا وأباح لنا"**[8]؛ فبيَّن لنا من خلاله الحكمة من إرسال الرسل، فهم وسائط بين الخلق وربهم ليبينوا لهم كيفية تحقيق العبودية التي خلقوا لأجلها. يقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦

يقول الشيخ: "**هم حجة الله وشهوده، أنبأهم الله بوحيه، وأرسلهم لتبليغه لخلقه، ليعرفوهم به وبشرعه، ولينبهوهم إلى آياته، ويذكرونهم بإنعاماته، ويبشروهم بالسعادة والنجاة إذا اتبعوهم، ويخوفوهم من الشقاوة والهلاك إذا خالفوهم، فقامت بهم -لما بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة- حجة الله على خلقه، وكانوا-وهم العدول الأمناء الصادقون- شهداء عليهم يوم لقائه"**[9]

5. 1. 1. مقصد الهداية: فإرشاد الخلق في معاشهم ومعادهم مهمة من مهمات الرسل الذين اصطفاهم المولى Y لهدي الناس وربطهم بالله وتعريفهم بالطريق الصحيح الموصل إليه يقول تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ الأنعام: ٩٠.

5. 1. 2. مقصد الشهادة والحجة على الناس: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ النساء: ٤١، ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ النحل: ٨٩، ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الإسراء: ١٥.

[8] المرجع نفسه، ص84.

[9]نفسه، ص87.

5. 1. 3. مقصد تأييد الله لهم بالبينات:

من بين ما عدّه ابن باديس من البينات وهو ما يتبين به الحق؛ كمال سيرة الأنبياء في قومهم، وجلاء بيانهم ووضوحه، وقوة حجتهم، وتأييدهم بالمعجزات وخوارق العادات، وذلك لأجل تخويف قومهم فيخضع قوم فيؤمنون، ويستمر الأكثرون على العناد والاستكبار فتحق عليهم كلمة العذاب. يقول تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ الإسراء: ٥٩

6. 1. عقائد الإيمان باليوم الآخر:

إن اليوم الآخر هو اليوم الذي يفصل فيه المولى Y بين الخلائق ليجازي المسيء بما أساء والمحسن بما أحسن لتتحقق عدالته فيهم، وقد تحدث ابن باديس عن عقيدة الإيمان ياليوم الآخر والمقصد من انتهاء الوجود الدنيوي وحدوث الوجود الأخروي، مستشهدا بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تقرر هذه العقيدة الهامة التي ابتدأ عرضه لها ببيان قدرته تعالى على حلِّ نظام هذا الكون وإنهاء أجل وجوده، يقول تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ هود: ١٠٤.

ومن مقاصد الإيمان بهذا اليوم:

6. 1. 1. مقصد الإيمان بالقدرة الإلهية: فالقادر على الخلق وبث النظام في عالم دنيوي قادر على إعدامه وإبطال نظامه وخلق مثله ونظامه في عالم أخروي. مصداقا لقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يس: ٨١

6. 1. 2. مقصد المحاسبة: فيوم المعاد والبعث هو يوم يحيي الله فيه الناس بعد موتهم ويعيدهم بأرواحهم وأجسادهم من قبورهم ليحاسبهم على أعمالهم ويجازيهم عليها، فخلقهم لم يكن عبثا وإلا عُدَّ ذلك قدحا في حكمته Y، يقول الشيخ:**"إذ ذاك جائز في قدرته، وواجب في عدله وحكمته"**[10]. لقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون: ١١٥

6. 1. 3. مقصد وزن الأعمال والجزاء عليها: يجازى الناس ردا للمظالم ولأجل الاقتصاص العادل بينهم، فمن غلبت حسناته سيئاته جوزي الجنة، ومن رجحت سيئاته عُذّب. يقول تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ الأنبياء: ٤٧ ويقول تعالى: أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟

[10] نفسه، ص97.

ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ الجاثية: ٢١ – ٢٢

6. 1. 4.مقصد الصراط: يُضرب على جهنم ليمر الناس عليه أجمعين، فينتهي أهل الجنة إلى الجنة، ويهوي أهل جهنم في النار.

﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴾ مريم: ٧١ - ٧٢

6. 1. 5. مقصد خلق النار: هي دار عذاب لكل المذنبين، فيخلَّد فيها أهل الكفر بكفرهم بينما يعذب لأجلٍ مسمى عند الله Y من رجحت سيئاتهم على حسناتهم. ﴿فأمَّا الذين شقُوا ففِي النّار لهم فيها زفيرٌ وشَهيقٌ خلدين فيها ما دامت السموات وٱلۡأَرۡضِ إِلَّا ما شَاءَ رَبُّكَ إن ربَّك فعَّالٌ لما يُرِيد ﴾ هود: ١٠٦ - ١٠٧

2. المقاصد الوسائل:

وسيلة تحقيق مقصد الإيمان: قد ذكرنا بأن الإيمان هو التصديق، ويقوى هذا التصديق باعتباره الجزء الأصلي في الإيمان بـ:

- **النظر في الآيات الكونية:** وهي العلامات والمعجزات الموجودة في الكون من سموات وأرضين وغيرها من مخلوقات الله التي تدل عليه وتحيل إلى معرفته . فالواجب على المؤمن مع تصديقه وجزمه أن ينظر في آيات الله ويستعمل عقله للفهم وجوب باقي الفرائض التي افترضها الله عليه. يقول تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ يونس: ١٠١.

ولا يكون النظر معتبرا إلا إذا كان على الطريقة التي جاء بها القرآن الكريم، كما ورد في آيات كثيرات منها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ الغاشية: ١٧–٢٠

ومن عرضت له شبهة التبس فيها عليه الحق من الباطل، فليبادر بنفسه بالنظر، فهو في حقه واجبا وجوب تبيّن الحقيقة، أو بسؤال أهل العلم لأجل إزالة الشبهة ودحضها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ يونس: ٩٤، بعكس ما إذا كانت خواطر عُرضت على قلبه من غير شبهة، فهذه الخواطر العارضة لا يحتاج معها إلا إلى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ فصلت: ٣٦

- **التدبر في الآيات السمعية:** وهي الحجج والبراهين القطعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

- **التقرب بالعبادات الشرعية:** فليس أحب إلى الله من أداء العبادات التي افترضها؛ يتقرب بها عبيده يقرون من خلالها بعبوديتهم له ويذعنون لجبروته.

يقول تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ البقرة:٢٦٠

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ الأنعام: ٧٥

ويضعف التصديق بضد ما ذكرنا من الوسائل المفضية إلى اليقين، الذي إن غاب جملة وتفصيلا عن الإيمان كفر صاحبه وإن نطق بالشهادتين، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ النساء: ١٥٠ – ١٥١

خاتمة:

شكلت معاقد الإيمان الستة لدى ابن باديس أرضية صلبة لبناء الإسلام الصحيح الذي يحقق الصلاح في الحال والفلاح في المآل، وذلك من خلال:

- التمسك بالعقائد القرآنية الصافية التي لم تكدرها لوثات الأفكار البشرية المتناقضة.
- معرفة ما تثمر عنه هذه العقائد من مقاصد هي لب الدين ولباب ما تدور حوله أحكامه.
- تمثُّل هذه العقائد على طريقة السلف التي لا لبس فيها ولا تعقيد ولا خلاف ولا تطرف، فهي تحمل بذور الإصلاح وفق المنهج القرآني الذي يربي النفوس ويحررها مما استحكم فيها من أهواء وضلالات.

وقد ارتكزت جهود ابن باديس الإصلاحية على وعي مقاصدي ينشئ إيمانا متشبّعا بالغايات والأهداف المتسامية التي ترتقي بحياة المؤمن، هذا الإيمان الذي يستوعب تغيرات الحياة وتناقضاتها من غير أن يخلق اهتزازا يضعف الارتباط إن بالحياة الدنيا أو بالحياة الأخرى، لأنه إيمان ارتفع إلى مستوى إدراك مرادات الله في الخلق وإنشاء الأكوان وتكليف الأنام.